دور النيران في تصوير الشاعر الجاهلي
- الذاتية ، الموضوعية ، القرى - انموذجاً -

د. رجاء لازم رمضان
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية

المقدمة :-

كانت النار من المكتشفات على طريق الصدفة التي عمل الانسان على استخدامها في تطوير مخترعات مقصودة ، فقد كانت اعجوبة خلقها الله سبحانه وتعالى للانسان [١] .

فمنذ ان اكتشفها رأها عنيفة ، تقتل وتهلك وتبيد [٢]، ورآها ايضاً انيسة دافئة تقهر عدوه المخيف وهو الظلام ، وقال اصحاب الكلام : (ان الله عز وجل جمع في النار الحركة والحرارة واليبوسة ، واللطافة والنور ، وهي تفعل بكل صورة من هذه الصور من خلال ما تفعل بالاخرى ، فالحركة تغلي الاجسام ، وبالحرارة تسخن ، وباليبوسة تجفف ، وباللطافة تنفذ، وبالنور تضيء ما حولها) [٣].

وكانت النار في الموروث السامي يعدونها مطهراً قوياً لانها تلتهم جسد الانسان الفاني فلا يبقى منه الا روحه الالهية الخالدة [٤]. في حين ان الوثنية الفينيقية كانت تقدم الضحايا البشرية للنار متخذين اعز ابنائهم قرابين لنار الآلهة [٥].

وفي عصر ما قبل الاسلام اتصل العرب بالمجوس من الفرس في اليمن والحيرة والبحرين ، ووقفوا على مذاهبهم ومعتقداتهم الدينية ومنها عبادتهم للنار ، فحاكت تلك الطوائف العربية في عبادتهم [٦].

وشعر عباس بن مرداس السلمي فيه مدح للرسول (ρ) بأنه اطفأ نيران الفرس وذلك في قوله :

ونورت بالبرهان امراً مدمّساً واطفأت بالبرهان ناراً مضرّما [٧]

وعظم الله تعالى من شأن النار بأن جعلها تنتقم في الاخرة من اعدائه جميعهم ، ونهى ان يحرق بها شيء من الهوام [٨] . فقال على لسان رسوله الكريم (ρ) : ((لا تعذبوا بعذاب الله)) [٩]. وقال الله تعالى للثقلين [يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ] [١٠].

وعظم شأن النار لما اضيفت الى اسم الجلالة فقالوا : نار الله وسعره وقالوا : غضب الله ولعنته ، وسخط الله وغضبه . وهما ناره او الوعيد بناره [١١] .

ثم ان النار من اكبر الماعون معونة ، واخفها مؤونة والماعون الاكبر : الماء والنار ، ثم الكلأ والملح [١٢]. قال تعالى : [الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ][١٣] .

وقد امتدت صورة النار الى اشعار العرب مع تعدد مفرداتها ، فتارة تجدها في الحرب وتارة اخرى في التأمل الذاتي والحكمة ؛ الا اننا سوف نقتصر على النار الذاتية والموضوعية ونار القرى في موضوع بحثنا هذا .

من المفردات التي استخدمها العرب في حياتهم – النار – للدلالة على لوعة الحب والاشواق القاتلة ؛ فقالوا : نار الهجر ونار القلب ونار الصبابة ، واستعملوها ايضاً للدلالة على الكره والغيظ ، فقالوا : نار الهجر ونار الغيظ ونار النفاق . فأحاسيس الشاعر وانفعالاته تقوم على اعتبارات داخلية ذاتية تندرج تحت المشاعر الذاتية بحيث يستعمل الشاعر النار ومفرداتها اداة للتعبير .

اما النار الموضوعية : فيندرج فيها توظيف الشاعر النار في تصويره للموضوعات من دون ان تكون النار وسيلة للتعبير عن مشاعر قدر ما تكون وسيلة لتوضيح طبيعة الموضوع الذي يتناوله ، واخيراً سنتناول نار القرى أي نار الكرم والبخل .

أولاً– نار المشاعر الذاتية :–

اهم المشاعر الذاتية واكثرها دوراناً في الشعر هي مشاعر الحب التي تربط بين الرجل والمرأة . فقد شغلت المرأة فكر الرجل منذ الازل ونالت اهتمامه واصبحت من اكبر همومه . فلا غرابة في ميل الرجل الغريزي الدائم الى المرأة واحساسه بالحاجة اليها وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً][١٤].

وعليه وقف الشاعر على المرأة الحبيبة اكثر مما وقفه على سواها من النساء فافرد لها غزله ونسيبه [١٥]، فقد وقف على اطلالها وأحب الديار لحبها وكره الديار لهجرها لها ونأيها عنها . وقد صرح عبيد بن الابرص بذلك في قوله :

فقلت لها لا تعجلي ان منزلاً

نأتني به هند الي بغيض [١٦] .

فهو بذلك يشعر بنار الحب والشوق تتوهج في قلبه وتحرق فؤاده كلما ذكر الحبيب او مرّ طيفه ، فليس امام العاشق سوى البكاء على نفسه واظهار نار حزنه التي كانت مظهراً من مظاهر رثائه لنفسه [١٧] .

فطالما لام الاعشى نفسه على حب امرأة ، كلف حبها مذ كان شاباً حتى امسى شيخاً فلم يجن من كلفه الا حرقة القلب ولوعته، فلا نفسه تيأس منها وتعزف عن حبها ولا ينثني عن طلبها حتى تمثل له الامل في نوالها فأحترق من اجله شوقاً وطمعاً ، فنراه يقول :

لا النفس تؤيسه منها فيتركها وقد رأى الرغب رأي العين فاصرقا (١٨)

ولهذا نجد الشاعر في احيان كثيرة عندما يصل الحب الى ذروته في قلبه ولا يجد من يتحدث معه يبدأ بمخاطبة نفسه وسؤالها عما اذا كانت صحت من سكرة الحب ام ما زالت الحبيبة تلهب المشاعر وتستولي على ما بقي من العقل ، إذ يرى ان حبها قد تجاوز الحد الطبيعي فهو بسبب هذا الحب كالمجنون الذي تسعره نار الشوق والحنين وهذا ما خاطب به طرفة بن العبد نفسه قائلاً :-

أصحوت اليوم أم شاقتك هر ومن الحب جنون مستعر (١٩) .

فالشوق الى الحبيبة والحديث معها امر تناوله الشعراء اذ وصفوا ما لنعومة صوت الحبيبة من اثر فعال في الهاب مشاعرهم وتأجيج نيران حبهم بيد اننا نجد لكعب بن زهير رؤية اخرى ، فهو يجد في حديث الحبيبة من الحلاوة والعذوبة ما يطفئ حرارة الفؤاد وناره الملتهبة فهو يستعمل كلمة (غليل) ليدل على شدة حرارة جوفه التي يرغب في اطفائها من خلال حديثه مع حبيبته ولهذا يقول :-

صفراء آنسة الحديث بمثلها

يشفي غليل فؤاده الملهوف (٢٠)

بيد ان منهم من يرى غير ذلك ، فالحب عنده لوعة ، لذا نجده يلوم نفسه على حب امرأة لم يصبه من حبها الا النار التي تحرق الحشا والموت الذي هو آت لا محالة ، وهذا ما اراده الاعشى في قوله :-

تلك التي كلفتك النفس تأملها

وما تعلقت الا الحين والحرقا (٢١)

الا ان سحيم عبد بني الحسحاس ، لا يلوم نفسه وانما يدعو على الحبيبة التي اشعلت قلبه بحبها ولوعته بنار الشوق ، وهو من اجل ذلك يدعو على النساء جميعاً بأن يذقن لوعة الهوى ويحترقن بناره ، لما ناله منهن فهو امامهن ضعيف مغلوب على امره ، فنجده يقول :-

وراهن ربي مثل ما قد وريتني واحمى على اكبادهن المكاويا (٢٢)

واذا ما احس العاشق بوطأة الواقع ومعاناته اثر اللجوء الى الماضي وذكرياته عله يجد فيه متنفساً له ، بيد ان الذكريات لا تخفف عنه الالم بل انها تشعل نار الشوق والحنين لعهود مضت مع الحبيبة التي بات تذكرها يحرق الفؤاد، وقد أكد الشاعر عبد الله بن العامري هذا المعنى في قوله :-

ولا هند إلا ان تذكر ما مضى

تقادم عهد التذكر بشغف (٢٣)

ومن المحبين من وقف على الاطلال واسترجع ايامها ، فليست هناك اجمل من ذكريات الحبيبة والوقوف على الاطلال يعد تنفيساً عما يحتبس في نفسه من مشاعر الشوق والحنين . وهذا ما اشار اليه عبيد بن عبد العزى في قوله :-

ارسم ديار بالستارين تعرف عفتها شمال ... ذات نيرين حرجف

فلم تدع الارواح والماء والبلى من الدار الا ما يشوق ويشعف (٢٤)

وحين يقف العاشق على اطلال الحبيبة فانه يشرع احياناً بتصوير ما ينبعث بين جوانحه من مشاعر فيشبهها بجمر الفضا الذي يطول اتقاده على الرغم مما يتراكم عليه من رماد . وهذا ما صوره ابو دؤاد الايادي في قوله :-

ونؤي اضر به السافياء كدرس من النون حين امحى

فدمعي من ذكرها مسبل وفي الصدر لذع كجمر الفضا (٢٥)

فنار الحب من الصور التي دأب الشعراء على رسمها على الرغم من ان ما بقي منها هو الرماد واثافي القدر التي شبهت بالنساء اللواتي فقدنّ عزيزاً عليهن فاكبادهن تحترق من الحزن ، وكأن الشاعر كان يومى الى حالته ونار حزنه بعد رحيل الاحبة من خلال هذه الاثافي فكلاهما قد اكتوى بنار الفراق وهذا ما اراده ابو ذؤيب الهذلي في قوله :-

فلم يبق منها سوى هامد وسفع الخدود معاً والنؤي

فهن عكوف كنوح الكري م قد شف اكبادهن الهوى (٢٦)

ونار الحزن لفقد الاهل والاحبة من النيران التي يكتوي بها فؤاد المرء ، فلا تستطع دموع العين ان تطفئها ، وقد كانت الخنساء اشهر من بكت واستبكت في عصر ما قبل الاسلام ، فقد رثت اخويها معاوية وصخراً بحرقة الفؤاد وذلك بقولها :-

ألا يا عين فانهمري بغزر وفيضي عبرة من غير نزر

لمرزئة كأن الجوف منها بعيد النوم يشعر حر جمر (٢٧)

وهذا حال المراثي، قال الاصمعي: ((قلت لاعرابي : ما بال المراثي اشرف اشعاركم؟ قال : لأننا نقولها وقلوبنا محترقة)) [٢٨]. وقد اكتوى المهلهل بن ربيعة بنار الحزن لفقد اخيه كليب فعبر عن ألمه بقوله :

أزجر العين ان تبكي الطلولا ان في الصدر من كليب غليلا
ان في الصدر حاجة لن تقضى ما دعا في الغصون داع هديلا
كيف انساك يا كليب ولما اقض حزنا ينوبني وغليلا [٢٩]

وصور خفاف بن ندبة النيران التي تحرق احشاءه من شدة الحزن على فقد احبته ، بانها تستعر في كل أوان فهو يتذكر عهدهم الذي بات ذكرى تكوي القلب وكأنها جمرة في الصدر إذ يقول :

تطاول همه ببراق سعر لذكراهم واي اوان ذكر
كأن النار تخرجها ثيابي وتدخل بعد نوم الناس صدري [٣٠]

وهناك نار العتاب ، فقد دأب الشعراء على معاتبة من لهم به علاقة حين يواجهون تجربة الصد . بيد ان هنالك من يعزف عن العتاب وايثار الصمت عليه لان الشروع فيه يؤجج نيراناً يصعب إطفاؤها ، وهذا ما اراده العباس بن مرداس بقوله :-

خفاف ألم تر ما بيننا يزيد استعاراً اذا يسعر [٣١]

وقد نحا عدي بن زيد منحى العباس بن مرداس حين آثر الصمت على العتاب لما يستعر العتاب من نار يتعذر من اطفائها ، فقال :-

وأطف حديث السوء بالصمت انه
متى يؤر ناراً للعتاب تأججا [٣٢]

كما تداول الشعراء تهديد اعدائهم بالنيل منهم واذاقتهم حرارة الجوف ونيران الجوى مثلما ذاقها الشاعر وقومه قبلهم ، وقد قال الطفيل الغنوي في هذا المعنى :-

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر من الغيظ في اجوافنا والتحوب [٣٣]

ولما كانت نار الغيظ تتأجج فمن الصعب كظمها ، في حين هنالك من يحاول كظم نار غيضه مكابرة واعتقاداً منه بجدوى ذلك لانه يعد من شمائل الحر الكريم ، وهذا ما يراه المهلهل بن ربيعة فيقول :

فأخّر ، فإن الشر يحسن اخراً وقدم ، فان الحر للغيظ كاظم [٣٤]

ومن غريب ما ورد في الشعر هجاء الحطيئة لأمه التي جعلها كانون يحرق المتحدثين في قوله :-

تنحي فأجلسي منا بعيداً

اراح الله منك العالمينا

اغربالاً إذا استودعت سراً

وكانوناً على المتحدثينا (٣٥)

والوشاة والشكوى منهم حالة معروفة لدى الشعراء اذ انهم يسعون دائبين لأيقاد نيران الشر والعداوة والعمل على تحطيم العلاقات الانسانية لاطفاء نار حقدهم ، فالنابغة الذبياني يضع شكواه امام النعمان بن المنذر من الوشاة الذين حاولوا النيل منه وذلك بقطع حبال الود فهو يقول:

هذا لا برأ من قول قذفت به

صارت نوافذه جمراً على كبدي (٣٦)

ثانياً- النار الموضوعية :-

اما النار الموضوعية فهي توظيف الشاعر للنار ومفرداتها في تصوير الموضوعات من دون ان تكون وسيلة للتعبير عن مشاعره بقدر ما تكون وسيلة لتوضيح طبيعة الموضوع الذي يتناوله .

فربما يستخدم الشاعر النار ومفرداتها للتعبير عن مشهد يثير اعجابه كأن يصف الحلي التي تتزين بها الحبيبة بانها جمر اوقد بموضع مرتفع تختلف عليه الريح فيشتد لهبه كما في قول امرئ القيس :-

كأن على لباتها جمر مصطل أصاب غضى جزلا وكف باجذال

وهبت له ريح بمختلف الصوى صبا وشمال في منازل قفال (٣٧)

على ان النابغة الذبياني لم يخرج عن هذا المعنى فالحلي تضيء كالجمر الذي نشر في سماء ليلة مظلمة ، في قوله :-

ترائب يستضيء الحلي فيها كجمر النار بذر بالظلام (٣٨)

ومنهم من يشبه هذه الحلي بنجمة الثريا ، التي تتوهج كتوهج الجمر والتهابه في وسط السماء المظلمة ، وهذا ما اراده قيس بن الخطيم في قوله :-

كأن الثريا فوق ثغرة نحرها

توقد في الظلماء أي توقد (٣٩)

ويشبه الشعراء احياناً الياقوت الذي يزين المرأة في توهجه ولمعانه بجمر الغضا تتلاعب به الرياح فيتسم ويشتد لهبه ورونقه وهذا المعنى طرق اليه حاتم الطائي في قوله :-

تهادى ، عليها حليها ، ذات بهجة وكشحا كطي السابرية أهضما
ونحرا كفاثور اللجين يزينه توقد ياقوت ، وشذراً منظما
كجمر الغضا هبت له بعد هجعة من الليل أرواح الصبا فتسنما (٤٠)

او قد يشبه الشاعر دلال المرأة ورقتها وجمال وجهها بالنار الملتهبة لاشراقها وبهائها ، او هي في جمالها الأخّاذ كلهب الشهاب الذي يترك تأثيره في النفوس والافئدة من ذلك قول امرئ القيس في وصف امرأة جميلة شقراء :-

وسالفة كسحوق اللبــا ن اضرم فيه الغوي السعر (٤١)

ومن الشعراء من يتوهم في امور لا وجود لها فهم يتوهمون احياناً رؤية نار الاحبة ويصفونها ويتحدثون عنها ، على الرغم من المسافة البعيدة التي تفصل بينهما وهذا ما توهمه امرؤ القيس في قوله :-

تنورتها من اذرعات وأهلها بيثرب ادنى دارها نظر عال (٤٢)

ومنهم من يدعو القوم معه لرؤية نار الحبيبة التي لاحت له وهي في مكان اخر بعيد ، فأخذ في وصفها فهي نار متوهجة ومتلألئة لدى الاعشى :-

أريت القوم نارك أغمض بواقصة ومشربنا زرود
فلم أر مثل موقدها ولكن لأية نظرة زهر الوقود (٤٣)

وتوهم ابن مقبل من رؤية الحبيبة ونارها فدعا اصحابه لرؤيتها ، فقال :-

يا صاحبي انظراني ، لاعد متكما
هل تؤنسان بذي ريمان من نـار
نار ، الاحبة شطت بعدما اقتربت
هيهات أهل الصفا من دير دينار (٤٤)

ومن الشعراء من يتباهى بنيران حبيباتهم التي كانت توقد في اماكن عالية ولا توقد الا بالخشب الفاخر كالرند والمندل وغير ذلك من الاخشاب العطرة وهذا ما اراده عدي بن زيد العبادي في قوله :-

أبصرت عيني عشاء ضوء نار
من سناها عرق هندي وغار

أرثت في عرق موقدها

فأضاءت لمع كف بسوار (٤٥)

أو قد يكون الخشب من الخشب الذكي الرائحة وهي عيدان اليلنجوج العطرة كقول الشماخ بن ضرار :-

يثقب نارها والليل داج بعيدان اليلنجوج الذكي (٤٦)

وان من الشعراء من افادوا من ظاهرة طول اتقاد النار فأخذوا يمدحون الحبيبة ونيرانها بطول الايقاد وهذا دلالة على الجود والكرم لدى اهل الحبيبة فيقول بن مقبل :-

نارا تؤرث احياناً إذا خمدت

بعد الهدو بجزل غير خوار

إن تؤنسا نارحي قد فجعت بهم

أمست على شزرن من دارهم داري (٤٧)

ومن الشعراء من جعل نار الحبيبة ناراً لا مثيل لها ، فالشماخ يشبه نار الحبيبة بنجمة الشعرى الساطعة في الليل المظلم الداجن فمثلما كانت نجمة الشعرى مضيئة يصعب الوصول اليها كانت نار الحبيبة مرتفعة يصعب الوصول اليها ، فيقول :-

لليلى بالغميم ضوء نار يلوح كأنه الشعرى العبور

اذا ما قلت خابية زهاها سواد الليل والريح الدبور

فما كادت ولو رفعوا سناها ليبصر ضوءها الا البصير (٤٨)

ثالثاً :- نار القرى :-

كانت نار القرى في الحياة الجاهلية رمزاً متضاد الدلالة فهو اما الرمز الموجب الدال على الكرم والذي نجده في شعر المديح والفخر والرثاء . او الرمز السالب الدال على البخل والذي مارسه الشعراء في الهجاء .

أ- الرمز الموجب (الكرم) :-

كان الكرم وما يزال من القيم الخلقية الرفيعة التي ميزت العرب من غيرهم ، فقد اكرموا الضيف واعانوا المحروم وكان الكرم متوارثاً عندهم والعرب يبالغون في اكرام الضيف حتى انهم يصيرون انفسهم عبيداً لضيوفهم حتى اعترفوا بذلك في اشعارهم :-

واني لعبد الضيف ما دام ثاوياً وما في الا تلك من شيمة العبد (٤٩)

وقد ابتدع العرب وسائل مختلفة للتعبير عن هذه القيمة ومن تلك الوسائل (نار القرى) التي كانوا يوقدونها ليلاً لهداية الضيوف الى ديارهم ، فكان ايقاد النار عندهم علامة من علامات البذل والعطاء . وكان لابد ان توقد في مكان عالٍ ومرتفع فكلما كان موضع النار اشد ارتفاعاً ، كان اكثر دلالة على كرم صاحب النار وهذه الحقيقة ادركها حاتم الطائي فقال :-

تبتني المجد وتجتاز النهى وترى نارك من ناء طرح (٥٠)

فالنار هنا اصبحت علامة من علامات الاهتداء ومظهراً من مظاهر البذل ورمزاً من رموز الشعراء اذا ما ارادوا الحديث عن السخاء والكرم .

وكان العربي يعمد دائماً الى اختيار اجود انواع الخشب للايقاد لاجل ابقاء النار مدة اطول فابن مقبل يفخر بناره التي كان يوقدها بالخشب الجزل . فيقول :

ونلحف النار جزلاً وهي بارزة

ولا نلط وراء النار بالستر (٥١)

في حين عمد بعض العرب الى ايقاد نارهم من خشب طيب الرائحة وزكية كالمندلي والغار وغيرها من الاخشاب ليهتدي الاعمى برائحتها ، وقد ذكر عدي ابن زيد هذا النوع من الاخشاب في قوله :-

رب نار بتّ أرمقها تقضم الهندي والغارا (٥٢)

ولاستكمال مستلزمات الكرم نجد ان العربي يعمد الى اختيار اوقات معينة يوقد فيها النار، فكان يوقدها ليلاً ليهتدي بها التائهون ، او في اوقات الشتاء الباردة التي تكون اشد فقراً وجدباً(٥٣)لذلك نجد حاتماً يأمر عبده بإيقاد ناره في تلك الليالي الباردة بقوله :-

أوقد ، فأن الليل ليل قر

والريح يا موقد ريح صر

عسى يرى نارك من يمر

ان جلبت ضيفاً فأنت حر (٥٤)

والعربي لا يكتفي بإيقاد نار القرى امارة على كرمه بل يشفعها بوجه مشرق وبذل للمال عن طيب نفس وهذا ما اشار اليه حسان بن ثابت في قوله :-

له نار تشب على يفاع اذا النيران ألبست القناعا

ولم يك اكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا (٥٥)

ويبدو ان النار لم تكن تهدي الضيوف البشر فحسب ، بل كانت تهدي الحيوان الذي يطرق صاحب النار ، فيكرمه كما يكرم ضيفه ، فما كان من المرقش الا ان يقول حين مر به ذئبٌ :-

ولما أضأنا النار عند شوائنا عرانا عليها اطلس اللون بائس (٥٦)

فضلاً عن ان كثيراً من الشعراء ما يلجأون الى اساليب يكشفون من خلالها عن صفاتهم النبيلة من خلال لوم اللائمة او العاذلة لكرم الشاعر فهذه العاذلة تلوم الشاعر حاتم الطائي على كرمه بيد انه لا يأبه لكلامها ، بل على العكس من ذلك ، اذ نجده يأمرها ان توقد النار على المرتفعات علها تهدي الضالين اليه وقد ذكر ذلك في قوله :-

لا تستري قدري إذا ما طبختها علي اذن ما تطبخين حرام

ولكن بهذاك اليفاع فأوقدي بجزل إذا أوقدت ، لا بضرام (٥٧)

ب- الرمز السالب (نار البخيل) :-

وقد ابغض العرب البخل ، لانه طبع لئيم ، ولشدة مقتهم للبخيل قالوا فيه [البخيل يمنع غيره ويجود على نفسه] (٥٨) ، ولنا ان نذكر بأن العرب جعلوا للبخيل ناراً وهي نار تقلل من شأن الشاعر وتحط من كرامته ، والبخيل يحاول من خلال ايقاده النار ايهام الآخرين بكرمه، بيد انه سرعان ما كان يخمدها اذا ظن انها ستهدي ضيفاً اليه فكان ذلك مبعث هجاء الآخرين له ، ولاسيما اذا افتخروا بإيقاد نيرانهم ، وهذا ما اكده المرقش الاكبر في قوله :-

لسنا كأقوام مطاعمهم كسب الخنا ونهكة المحرم

ان يخصبوا يعيوا بخصبهم او يجدبوا فهم به ألأم

عام ترى الطير دواخل في بيوت قوم معهم ترتم

ويخرج الدخان من خلل الـ ستركلون الكودن الأصحم (٥٩)

ومن الشعراء من لا يصرح في هجائه لقوم بان نارهم كنار أبي حباحب (*) وهذا ما تضمنه هجاء ابن مقبل لبعض الاقوام وذلك في قوله :-

حتى إذا ما الصبح شق أديمه للقوم أوقدوا على الابصار (٦٠)

في حين هنالك من ابى الا ان يصرح به وهذا من خلال قول النابغة الذبياني وهو يهجو بني قيس ببخلهم وبنارهم التي كانت تخبو ليلاً خوفاً من قدوم الضيف اليهم :-

ألا إنما نيران قيس اذا شتوا

لطارق ليل مثل نار الحباحب (٦١)

وهكذا يتضح ان النار كانت في عصر ما قبل الاسلام رمزاً متضاد الدلالة، رمزاً موجباً (نار الكرم) وسالباً (نار البخل) ، ولكي تكون نار الكرم ادعى للفخر او المدح بها ، كان يشترط فيها ان توقد ليلاً وفي اماكن مرتفعة لهداية الضيوف الى منازلهم ، فضلاً عن ايقادها في الشتاء وفي ايام الجدب والقفر ، اما نار البخيل فهي نار لاينتفع بها اذ ان البخيل كان يوقدها ليوهم الناس بكرمه الا انه سرعان ما كان يطفئها خشية ان يراها الضالون فينزلون ضيوفاً عليه.

الخاتمة :-

من دراسة موضوع النار ، توصلنا الى النار كانت أعجوبة خلقها الله تعالى للانسان ، فاستخدمها لاهميتها وتأثيرها في مختلف الصور ، فضلاً عن ذلك فقد سعى الانسان القديم الى استرضائها بالتوسل والعبادة . ولان منفعة النار تختص بالانسان من دون غيره فقد كانت مقدسة عند الساميين والفينقيين ، الذين قدموا اعز ابنائهم قرابين تلتهمها نار الآلهة .

اما في العصر الجاهلي فقد حاكت بعض الطوائف العربية المجوس في عبادتهم النار هذا فيما يخص التمهيد .

ومن خلال استقرائنا للنصوص في موضوعنا هذا نجد ان النار استخدمت مجازاً للتعبير عن المشاعر الذاتية التي كانت تقوم على اعتبارات داخلية والتعبير عن المشاعر الموضوعية فكانت النار ومفرداتها وسيلة لتوضيح طبيعة الموضوع الذي يتناوله .

اما النار في شعر القرى فقد توصلنا من خلال بحثنا الى ان النار كانت رمزاً متضاد الدلالة رمزاً موجباً أي (نار الكرم) ورمزاً سالباً (نار البخيل) ، ولكي تكون نار القرى ادعى للفخر او المدح بها كان يشترط ان توقد ليلاً وفي اماكن مرتفعة وفي الشتاء ، اما عن نار البخيل فقد وجدنا انها نار لا ينتفع بها اذ ان البخيل كان يوقدها ليوهم الناس بكرمه إلا انه سرعان ما يطفئها خشية ان يراها احد .

الهوامش :

(١) ينظر : قصة الحضارة ١ / ٢٢ .

(٢) ينظر : المستقصى في امثال العرب ١ / ٤٦ .

(٣) نهاية الادب / ١٠٣ – ١٠٤ .

(٤) ينظر : ادونيس / ١٢٢ .

(٥) ينظر : التاريخ العربي وبدايته / ٣٥٨ .

(٦) ينظر : الحياة العربية / ٤٢٣ ، وبلوغ الارب / ٢٣٣ .

(٧) ديوانه / ١٤١ .

(٨) ينظر : الحيوان ٥ / ٩٤ .

(٩) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث ٤ / ١٦٤ .

(١٠) سورة الرحمن / ٣٥ – ٣٦ .

(١١)ينظر : الحيوان ٥ / ٩٤ .

(١٢)ينظر : محاضرات الادباء ٢ / ٢٧٧ ، وكتاب الازمنة والامكنة / ٣٥٥ .

(١٣)سورة يس / ٨٠ .

(١٤)سورة الروم / ٢١ .

(١٥)ينظر : مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي / ٥٢ .

(١٦)ديوانه / ٥٠ .

(١٧) ينظر : المرثاة الغزلية / ٨ .

(١٨) ديوانه / ٣٦٧ .

(١٩)الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد / ٦٧ .

(٢٠) شرح ديوانه / ١١٥ .

(٢١) ديوانه / ٣٦٧ .

(٢٢) ديوانه / ٢٤ .

(٢٣)شعره / ١٨٣ (مجلة المورد) .

(٢٤) ينظر : تاريخ الادب العربي قبل الاسلام / ١٧٠ .

(٢٥) شعره ضمن كتاب : دراسات نقدية في الادب العربي / ٣٥٠ .

(٢٦) شرح اشعار الهذليين ١ / ١٠٢ .

(٢٧) ديوانها / ١٧٨ .

(٢٨) العقد الفريد ٣ / ٢٨٨ .

(٢٩) المهلهل حياته وشعره / ٣٢١ .

(٣٠) شعره / ٤٩ .

(٣١) ديوانه / ٦٣ يسعر : يشعل .

(٣٢) ديوانه / ١٢٠ .

(٣٣) ديوانه / ٣٢ .

(٣٤) المهلهل حياته وشعره ٥ / ٣٢٧ .

(٣٥) ديوانه / ٢٧٧ الكانون / الموقد والكوانين : الثقلاء من الناس .

(٣٦) ديوانه / ٨٦ .

(٣٧) ديوانه / ٣٠ .

(٣٨) ديوانه / ٢٣٥ ترائب : موضع القلادة ، بذر : انتشر .

(٣٩) ديوانه / ٤٤ .

(٤٠) ديوان شعره / ٢٣٤ . فاثور : الفضة ، السابرية : الثوب الرقيق .

(٤١) ديوانه / ٣٠ . سحوق اللبان : شجرة طويلة ، الغوي : الغاوي .

(٤٢) ديوانه / ٣١ . اذرعات : موضع .

(٤٣) ديوانه / ٣٢١ .

(٤٤) ديوانه / ١١٣ – ١١٤ .

(٤٥) ديوانه / ٩٣ .

(٤٦) ديوانه / ٤٦٣ .

(٤٧) ديوانه / ١١٤ .

(٤٨) ديوانه / ١٥٢ .

(٤٩) ديوان شعر حاتم الطائي / ٩ .

(٥٠) م. ن / ٢٣٩ . الطرح : المكان البعيد .

(٥١) ديوانه / ٩٠ .

(٥٢) ديوانه / ١٠٠ .

(٥٣) ينظر : الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد / ١٣٠ .

(٥٤) ديوان شعره / ٢٧١ .

(٥٥) شرح ديوانه / ١٢٩ .

(٥٦) شعره / ٨٧٧ .

(٥٧) ديوان شعره / ١٧٢ .

(٥٨) العقد الفريد ٣ / ١٢٢ .

(٥٩) شعره / ٨٨٧ .

(*) من اشهر الرجال بخلاً في عصره حتى ضرب به المثل .

(٦٠) ديوانه / ٢١ .

(٦١) ديوانه / ٦٨ .

فهرست المصادر

- **القرآن الكريم .**
- اودنيس تأليف جيمس فريزر ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، دار الصراع الفكري ، بيروت ، ١٩٥٧ .
- الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ت (٤٢١هـ) دائرة المعارف ، حيدر آباد ، ٣٣٢هـ .
- بلوغ الادب في معرفة احوال العرب ، السيد محمود شكري الالوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) عني بنشره محمد بهجة الاثري ، مطابع دار الكتب العربي – مصر – (د. ت) .
- تاريخ الادب العربي قبل الاسلام ، تأليف د. نوري حمودي القيسي ، د. عادل البياتي ، د. مصطفى عبد اللطيف ، مطبعة التعليم العالي – الموصل – ١٩٨٩م .
- التاريخ العربي وبدايته ، امين مدني ، القاهرة ، دار المعارف .
- الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، د. احمد محمد الحوفي ، دار القلم ، بيروت الطبعة الخامسة ، ١٩٧٢م .
- الحيوان ، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة مصطفة البابي الحلبي واولاده ، مصر ، الطبعة الاولى (١٩٣٨ – ١٩٤٥).
- دراسات نقدية في الادب العربي / د. محمود عبد الله الجادر ، الموصل ، ١٩٩٠م .
- ديوان ابن مقبل ، تحقيق د. عزة حسن ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، دمشق ، ١٩٦٢م .
- ديوان الاعشى الكبير (ميمون بن قيس) ، شرح وتعليق د. محمد حسين ، مكتبة الاداب ، المطبعة النموذجية ، ١٩٥٠م .
- ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف – مصر، سلسلة ذخائر العرب ، ١٩٥٨م .
- ديوان الحطيئة ، شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، تحقيق نعمان امين طه ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده – مصر ، ١٩٥٨م .
- ديوان الخنساء ، تماضر بنت عمرو السلمية (ت ٢٤هـ) ، شرحه ثعلب أبو العباس ، حققه د. انور ابو سويلم ، دار عمار للنشر الاردن – عمان – الطبعة الاولى ، ١٩٨٨م .
- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٩٥٠م .

- ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي واخباره ، تحقيق د. عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني – القاهرة ، (د. ت) .
- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، حققه صلاح الدين الهادي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨م .
- ديوان الطفيل الغنوي ، تحقيق محمد عبد القادر احمد ، دار الكتب الجديد ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٨ .
- ديوان العباس بن مرداس ، جمعه وحققه د. يحيى الجبوري ، سلسلة كتب التراث ، مطبعة دار الجمهورية – بغداد ، ١٩٦٨ .
- ديوان عبيد بن الابرص ، تحقيق وشرح حسين نصار ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي / الطبعة الاولى ١٩٥٧م .
- ديوان عدي بن زيد العبادي ، حققه وجمعه محمد جبار المعيبيد ، شركة دار الجمهورية للنشر – بغداد ، ١٩٦٥م .
- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق د. ناصر الدين الاسد ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٢م .
- ديوان النابغة الذبياني ، جمعه محمد الطاهر بن عاشور ، نشر الشركة التونسية ، الجزائر ، ١٩٧٦م .
- الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد ، تحقيق د. علي الجندي ، دار الفكر العربي – القاهرة ، د. ت .
- شرح اشعار الهذليين صفة السكرة (ت ٢٧٥هـ) حققه عبد الستار احمد فراج ، راجعه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د. ت .
- شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، صنعة عبد الرحمن البرقوقي ، مطبعة السعادة ، مصر – (د. ت) .
- شرح ديوان كعب بن زهير صنعة السكري (ت ٢٧٥هـ) ، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة ، ١٩٦٥م .
- شعر خفاف بن ندبة السلمي ، جمعه وحققه د. نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٧م .

- شعر المرقش الاصغر ، صنعة د. نوري حمودي القيسي ، مجلة كلية الآداب ، العدد الثالث عشر ، ١٩٧٠م .
- العقد الفريد ، ابن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ) تحقيق احمد امين الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .
- قصة الحضارة ، ترجمة د. زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثالثة - القاهرة ، ١٩٦٥م .
- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ابو القاسم حسين محمد الراغب الاصبهاني ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١م .
- المرثاة الغزلية في الشعر العربي ، د. عناد غزوان ، مطبعة الزهراء ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٤م .
- المستقصى في امثال العرب ، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٢م .
- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي د. حسين عطوان ، دار المعارف مصر ، ١٩٧٠م.
- المهلهل بن ربيعة التغلبي حياته وشعره دراسة وتحقيق ، نافع منجل شاهين الراجحي ، اطروحة ماجستير ، كلية الآداب ، المستنصرية ١٩٨٦م .
- نهاية الارب في فنون الادب ، النويري (٧٣٣هـ) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة . (د. ت) .